النباتية وزد على ذلك ان الاطعمة اللحمية عرضة لتوليد الحوامض في الجسم فالذين يكثرون منها يكثر تولد الحوامض الى اجسامهم

فاللحم من الاطعمة المغذية جداً السهلة الهضم الطيبة الطعم ولكن ذلك لا يوجب الإكثار منهُ ولا يمنع ضرر هذا الاكثار لانهُ قد يضر ضرراً كبيراً وخير الامور الوسط . ومن المرجح عندنا ان اهل اليسار في هذا القطر يأكلون من اللحم اكثر مما تقضي بهِ الحكمة والفقراء لا يأكلون القدر الذي يلزم لتقوية اجسامهم وعقولهم . ومتى زاد الاغنياء عليهِ قللوا من اكل اللحم ومتى زاد الفقراء ثراء زادوا من اكلهِ فيعتدل الفريقان وخير الامور الوسط

علم الانسان

ANTHROPOLOGY.

الانثروبولوجيا علم الانسان من حيث كونهُ حيواناً اجتماعيًّا . او هي التاريخ الطبيعي للانسان باوسع معانيهِ اذ تبحث في علاقتهِ بالمجاورات ونشوئهِ وارتقائهِ وقبائلهِ المختلفة وما اشبه ذلك . فهي بعبارة اخرى تاريخ الانسان في كل زمان ومكان وجد فيهما من حيث نشوءُهُ وارتقاؤهُ حتى لقد سماها بعض العلماء بنت داروين يريدون بذلك انها اساس مذهبهِ او هي مذهبهُ بعينهِ . وخلاصة هذا المذهب كما هو مشهور ان انواع الاحياء وتنوعاتها المتعددة في هذه الدنيا مرتبط بعضها ببعض وان روابطها متجانسة الى حدٍّ يسمح بوضعها تحت ناموس واحد هو ناموس النشوء

وهذا البحث يشتمل على موضوعات شتى اخصها ما يأتي :

قِدَم الانسان . وشعوبهُ . وبيئتهُ . ولغاتهُ . وفرقهُ . وشرائعهُ . واديانهُ واخلاقهُ . والانسان من حيث كونهُ فرداً . فلنبحث في كلٍّ من هذه الموضوعات على حدتهِ

(١) قدم الانسان

التاريخ على ثلاثة اقسام . الاول ما اعتمد على الاخبار المكتوبة وهو التاريخ الحقيقي . والثاني ما اعتمد على الاساطير والتقاليد والسماع كاخبار الجاهلية عند العرب . والثالث ما اعتمد على الآثار الصماء وهو يتناول العصور التي عرفت باسم ما قبل التاريخ وعليها مدار كلامنا فنقول :

كان بعض العمّال يحفرون في حديقة حتى بلغوا عمق ٣٠ قدماً . فوجدوا ان سمك تربة الحديقة العادية ٥ اقدام فقط . وتحتها طبقة من الطحلب وجذور الاشجار البالية المتلبدة سمكها ٣ اقدام . فاستُدل من هذا على وجود امة في ذلك المكان قبل ابتداء العصر البرنزي . وهو العصر الذي كان فيه الانسان يستعمل البرنز (اي مزيج النحاس والقصدير الذي اطلق عليه العرب اسم القلز) سلاحاً له في الدفاع عن نفسه وعمل مساكنه واقتناص الحيوانات لطعامه وهذا العصر واقع بعد العصر الحجري وقبل الحديدي وتحت تلك الطبقة طبقة اخرى تكونت بالرسوب وفيها اصداف بحرية وسمكها قدمان او ثلاث . فاستُدل من ذلك على ان تلك الطبقة كانت مغمورة بماء البحر في العصور الخالية . وتحتها طبقة من بقايا الاشجار المتلبدة وفيها جذوع اشجار كبيرة وبقايا غابة لا بدَّ لها من ارض كثيرة التراب لتنمو وتزكو فيها . وسمك هذه الطبقة ٥ اقدام الى ٧ . ووجد في اللبد قطعة سلاح من الحجر المصقول وفي قعر اللبد شقفتان من الفخّار احداهما منقوشة بثقوب . فاستُدل من ذلك على ان سكان تلك الغابة من اهل العصر الحجري الحديث حينما كانت الادوات الحجرية او الصوانية اتقن مما كانت من قبلُ . وتحتها طبقة من الرواسب سمكها ٤ اقدام وفيها اصداف بحرية دلالة على ان البحر كان يغمرها وتحتها طبقة سمكها بين ٦ و ٨ اقدام وهي مكونة من الطفل او الصلصال الاصفر وقد دُفنت فيها قطع من الصخر المعروف مما يبرز الطوفانات الهائلة التي كانت تفيض في العصر الجليدي . وتحتها طبقة من الطفل الازرق سمكها ٣ او ٤ اقدام وهي الاخيرة اذ ليس تحتها الا الصخر . والدلائل تدل انها مكونة بفعل البحر وبالتالي على ان البحر كان يغمرها في عصر القدم

ترى مما تقدم ان معظم الطبقات المذكورة جيولوجية لا اثر للانسان فيها الا في مكان واحد حيث وجدت قطعة السلاح وشقفتا الفخّار . وفي اماكن اخرى كما في ضواحي اميان الفرنسوية وجد احد العلماء المنقبين ادوات واسلحة مختلفة الاشكال في ثماني طبقات من اثنتي عشرة طبقة

والباحثون في قِدَم الانسان قبل التاريخ يعتمدون في تقدير قِدَمه على ثلاثة اشياء : عظام الحيوانات التي توجد مع آثاره . والعظام البشرية . والادوات البشرية على اختلافها كما يتضح من الحادثة الآتية :

كان احد العلماء ينقّب عن آثار الاقدمين في كهف مشهور فحفر فيه الى عمق ٢٠ قدماً فعثر على موقد قديم اثافيهُ من الحجارة وآثار الرماد فيه . والى جانبه بقايا عرمة من

العظام المطروحة من الطعام . وكانت العظام باليةً الى حدٍّ لا تستطيع عندهُ عين غير الخبير ان تهتدي بها الى شيء من الاشياء او تستوضحها نباً من الانباء . ولكنها عُرضت على خبير فاخبر بانها بقايا حيوان قديم اعظم من الموث واشدّ مراسًا وهو الفيل فرس النهر ذا الصوف . وبقايا الرنّة وصنفين من الفرس احدهما الفرس البري الصغير الجسم الذي لا يزال موجوداً في صحارى منغوليا الصينية . وبقايا الثور البري والغزال

كذلك وجد في تلك العرمة ١٣ سنًّا بشرية لا تزال قوية مما دلّ على ان صاحبها لم يزد عمرهُ على الثلاثين عند موته او قتله . فقول ثلثهُ اذ لا يعقل ان تكون اسنانهُ واضراسهُ قد سقطت من نفسها فلا بدّ ان يكون قد قتل وطبخ وطبخهُ لا يكون الاَّ لاكلهِ مما يحمل على الظن ان سكان ذلك الكهف كانوا من اكلة لحوم البشر . وقد عُرضت هذه الاسنان والاضراس على خبير آخر فقال ان طول جذورها يدلّ على فكين هائلي القوّة وبالتالي على جمجمة اكبر من جمجمة الانسان الحالي بكثير وأقرب منها الى جماجم القرود . وهي الجمجمة التي سميت جمجمة « نياندرتل » وهو اسم البلاد التي وُجدت فيها . فذهب بعض العلماء وفي مقدمتهم هكسلي الى انها اقدم جمجمة معروفة لصنف من الناس سكن اوربا في العصور الخالية . واخصّ خصائصهِ كون رأسهِ مصمّتًا اي ان قطر الجمجمة من مقدم الجبين الى قفا الرأس اطول من قطرها بين الصدغين . وذهب فرخو وغيرهُ ان شكل هذه الجمجمة مرَضيّ اي ناشيء عن مرض أصاب صاحبها في حياتهِ . ولكن اكتشاف جمجمتين في البلجيك مثلها فيما بعد أيّد رأي هكسلي وهو رأي جمهور العلماء الآن

ووجد في هذه العرمة ايضًا كثير من السكاكين الصوانية وهي ذات طراز خاصّ بها . ومن رأي أحد الخبيرين انها من صنع الانسان الذي عاش في العصر الملقب « مُستيريان » نسبة الى « لمستيه » بلد في فرنسا حيث وجدت

قلنا فيما سلف ان العصور التي ما قبل التاريخ مقسومة ثلاثة اقسام : اولها واقدمها الحجري وهو ثلاثة ازمنة (١) الايوليثك اي الفجري . و(٢) البالبوليثك اي القديم . و (٣) النيوليثك اي الحديث . وهي ذات فروع لا محل لذكرها هنا . وثانيها النحاسي او البرنزي . وثالثها الحديدي واوائلهُ عند حدّ عصور الجاهلية العامة التي نعرف عنها ما نعرف بالتقليد والسماع كما تقدّم القول . ومن اصعب الصعاب معرفة قِدَم العصر الاول ولو على سبيل التخمين والتقدير اي تقدير الزمان الذي وُجد فيهِ انسان الايوليثك الذي عاش في فجر العصر الحجري . ولكن العلماء يكتفون بتقديرهِ بمئات الالوف من السنين غير جازمين بعدد تلك

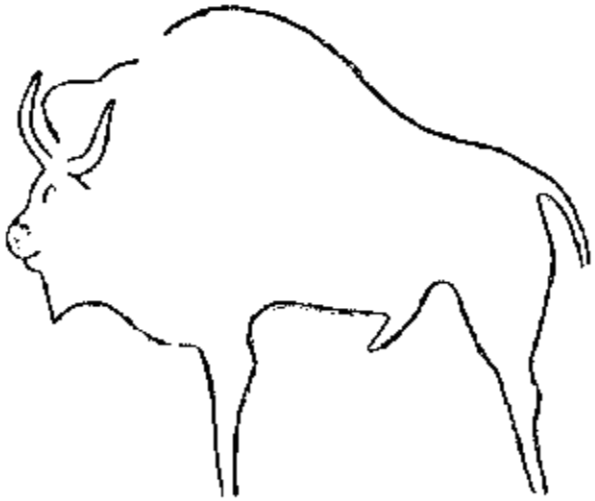

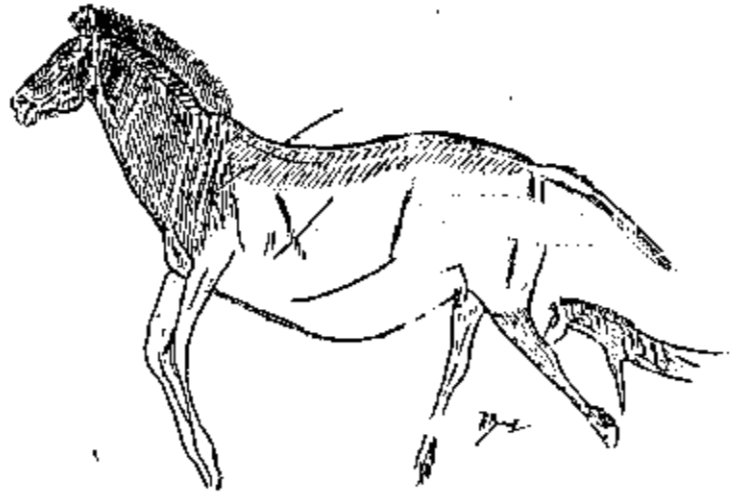

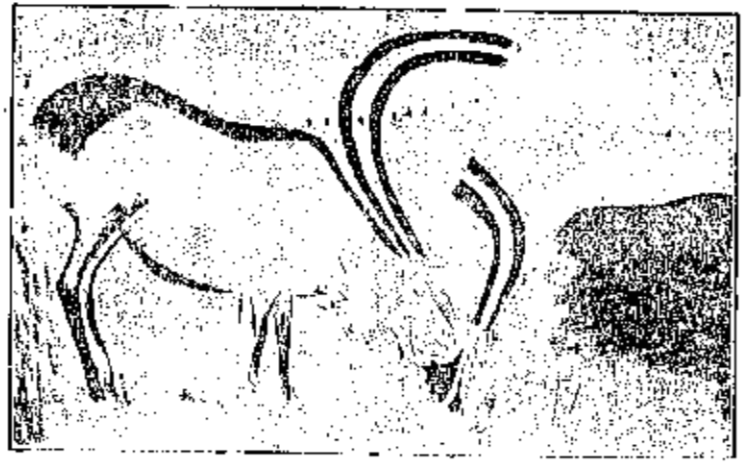

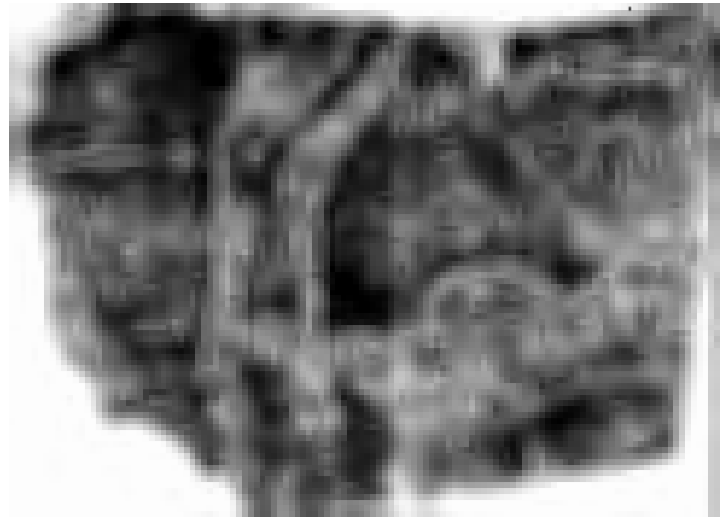

رسم فرس ومهرها وجاموس ورجل وعل وامرأة ملفاة اماهُ ورسم وعلين آخرين وكلها من رسوم الاقدمين قبل التاريخ

مقتطف يناير ١٩١٦ امام الصفحة ٤٥

المئات . ومن رأي السر راي لنكستر في مقالة من سلسلة مقالات علمية نشرتها الدايلي تلغراف ان اول عهد الانسان بالارض كان منذ مليون سنة على الاقل . ولو شئنا الاتيان على الطريقة التي توصل بها علماء البيولوجيا والجيولوجيا والفلك الى حسابهم وتقديرهم لما وسعنا المجال وخرجنا عن غرض هذه المقالة

وقبل ترك هذا الباب لا نرى بأساً من وصف بعض الكهوف والاغوار التي كان الانسان الحجري يسكنها والتي اهتدينا بها الى الحكم على هويته وماهية معيشته . وفي مقدمتها كهف « غرغاس » قرب افنتيان في جبال البيرنه العليا بفرنسا . وهو واقع في اكمة عالية وسط صخور وحجارة متفتتة تدل على انها من بقايا العصر الجليدي الذي استولى على تلك الاصقاع في الماضي . فاذا وصل قاصد الكهف الى بابه ودخله نزلت منه الى شبه قاعة واسعة واطئة السقف طولها نحو ٥٠ قدم وظلامها يكاد يلمس باليد . وعند باب الكهف بقايا موقد وفضلات عظام واسلحة صوانية ورماد . وهي تدل على ان سكان ذلك الكهف هم من الصنف الاورنياك نسبة الى بلدة اورلياك في فرنسا وقد عاشوا في فجر الدور الثالث من ادوار العصر الباليولثك (الحجري القديم اوالثاني) . والظاهر انهُ بعد اختفائهم وانقراضهم او مغادرتهم لذلك الكهف سدّتهُ الطبيعة وبقي مسدوداً حتى فُتح في عصرنا هذا

فاذا دخلنا الكهف لنشاهد ما فيه ومصابيحنا في ايدينا فاول ما نشاهده على جانبيه حفر صغيرة مستديرة لونها ابيض وعلى وجهها غشاء من الرواسب الكلسية حفظها هذه المدة الطويلة . وعلى ذلك الغشاء رسم كهوف كثيرة معظمها يُسريات مما يدل على ان اهل تلك الكهوف كانوا يستعملون ايديهم اليمنى مثلما فرسموا بها اكف ايديهم اليسرى على جدران الكهوف . وصبغوا ما بين الاصابع بالتراب الاسود او بالمغرة الحمراء (وهذه العادة شائعة بين اهل استراليا الاصليين حتى الآن ولا يعلم هل لهم غرض من ذلك سوى التسلية لانهم يتكتمون في الامر كل التكتم) . وكثير من الكهوف فاقد احدى الاصابع مما يدل على ان سكان تلك الكهوف كانوا يبترون احدى اصابعهم لغرض ديني او غيره . وكذلك يفعل اهل استراليا الاصليون وغيرهم من القبائل الهمجية الآن

وعلى الجدران ايضاً رسوم الحيوانات التي كان ساكنو الكهوف يقتنصونها لطعامهم وهي اشبه في سذاجة صنعها برسوم الصغار . فبينا ترى الواحد منهم يصور رأس الجاموس الذي صادهُ صورة جانبية تراهُ يرسم قرنيه كما لو كان ينظر اليه من الامام . ويصور قوائمهُ فاذا هي

تشبه شيئاً في مخيلته لا القوائم التي يراها بعينيه . وفي ارض الكهف حفرة عميقة فيها كثير من عظام الدببة التي ارت الى تلك الكهوف فسقطت في حفرتها

ومن تلك الكهوف كهف نيو في جبال البيرنه الصغيرة شرقي الكهف الاول . طولهُ نحو ميل والنصف الاول منهُ ممرٌ بالصخور والحجارة فاذا انتهيت منهُ انفرج الكهف امامك فرأيت بقعة فسيحة اتخذها سكان هذا الكهف قاعة لرسومهم وصورهم بعد ما اصبحوا احذق في فن الرسم من اسلافهم . فانهم صوروا الفرس بعرفهِ وذنبهِ المسدولين ووجههِ الجميل وصبغوهُ بالابيض والاسود وجعلوا طولهُ ٥ اقدام وليس فيهِ اثر للخشونة البتة بل ان هذه الصورة وغيرها من صور حيوانات العيد الاخرى التي صورت على جدران هذا الكهف وهي تزيد على الخمسين تدل على ان سكانهُ كانوا صُنَّع الايدي في فن الرسم والتصوير يتقنون تصوير ما يرونهُ ويلونونهُ

ثم انهم كانوا يستطيعون تصوير ما لا يرون ايضاً . فعلى الجدران نقط ورسوم واشكال في رموز لاشياء مجهولة وربما كانت ضرباً من الكتابة بالصور المعروفة بالمير وغليف

ومن الفروق بين اهل العصر الحجري القديم واهل العصر الحديث ان الثانين صقلوا ادواتهم الحجرية على الغالب واستعملوا الفخار وربوا المواشي وزرعوا الارض دون الاولين على ما يظهر من آثارهم . اما ان كان اهل العصر القديم قد استعملوا الفخار وربوا الماشية وحرثوا الارض فهذا امر لم تؤيدهُ الاكتشافات حتى الآن . فلا عجب والحالة هذه اذا رأينا الرجل الحجري القديم يندثر ويضمحل امام الجديد ويزول نجل الاصلح للبقاء محلهُ . على ان كيفية زواله لا تزال مجهولة عندنا . فهل سار في اثر الحيوانات القطبية التي كان يعتمد عليها في طعامهِ عند ارتحالها شمالاً بشرق ؟ ام اجتاحهُ سيل غزاة العصر الحديث من الجنوب ؟ ام اندمج الفريقان الواحد بالآخر تزوجاً ؟

وممَّا نعلمهُ عن الرجل الحجري الحديث الذي كان يقطن غربي اوربا انهُ كان صغير الجسم سود البشرة طويل الرأس ترك اثراً من لسانهِ في لغة الباسك الذين انتشروا في غرب اوربا وبلغوا انكلترا — وكانت قد صارت جزيرة حينئذٍ في الراجح — وتركوا من آثارهم التلال الصغيرة المستطيلة التي كانوا يقيمونها على قبورهم وهي غير التلال المستديرة التي كان اهل العصر النحاسي يقيمونها على القبور

وكما وجد الانسان في اوربا في ذلك العصر وجد في اسيا وافريقية فقد نشر في المجلد الثامن من المقتطف منذ احدى وثلاثين سنة خطبة للسر وليم دوسن الجيولوجي المشهور

القاها على مسمع منا في المدرسة الكلية السورية في بيروت وجاء فيها الكلام التالي

« واما في سورية فقد كشفوا آثار القدماء على عدوة نهر الكلب (قرب بيروت) فلا يخفى ان الذاهب الى نهر الكلب يرى بجانب الطريق التي فتحها الرومانيون نقوشاً وكتابات مختلفة نقشها رعمسيس ملك مصر وغيره من الذين قهروا هذه البلاد وابقوا تاريخهم منقوشاً على صفحات صخورها . والجيولوجيون يرون بالقرب منها آثار اناس عاشوا قبل اولئك فالطارين وبادوا وانطفأ خبرهم . وهؤلاء كانوا يسكنون مغراً قديمة هناك قد هدمها كرور الايام فذهب بالجانب الاكبر من سقوفها . ومنها مغارة كبيرة كشفها القانون ترسترم فوجد فيها عظاماً وغيرها . والظاهر انها كانت قديماً بارزة اكثر مما يُرى اليوم كما يستدل من وضع الرواسب الكلسية في ارضها . ويحتمل ان قسماً منها تهدَّم بعد ان فتح الرومانيون طريق نهر الكلب حيث قطعوا جانباً من رواسبها

الكلسية وجعلوه على حافة الطريق وقد دُحرج جانب آخر منها الى شاطئ البحر

وقد اكتشفت مغارة ثانية قرب انطلياس تهدَّم سقفها ورسبت الرواسب الكلسية في ارضها حتى تعالت فوقها اربع اقدام فاقتضى لهذه الرواسب زمان طويل حتى تراكمت وبلغت هذا السمك واعلمها لم تستغرق زماناً اطول مما بيننا وبين زمان رعمسيس لان هذه الرواسب قد تسمك كثيراً في زمان غير طويل فلا تطَّرد دلالتها على قدم الزمان (فقد اثبت العلاَّمة دُوكِنس وغيره ان الرواسب قد تبلغ ربع قيراط من السمك في السنة في بعض الكهوف ولا تبلغ ذلك السمك في سنين كثيرة في كهوف اخرى) وخلاصة ما يقال في هذا الشان ان الناس كانوا قديماً يسكنون كهوف هذه النواحي كالحور بين سكان الكهوف الذين طردهم الكنعانيون كما ذكر موسى الكليم . وقد فحص العلماء العظام التي وجدها ترسترم في مغارة نهر الكلب فحكموا انها عظام حيوانات لا تعيش اليوم في هذه النواحي بل في النواحي الشمالية الباردة وذلك يدلُّ على ان هواء هذه البلاد كان حينئذٍ ابرد من هوائها اليوم وان الناس الذين عاشوا في تلك الايام هم من اهل المدة التالية للعصر الجليدي . ولما كان البر في تلك المدة اكثر ارتفاعاً مما هو اليوم فلا يبعد انهُ كان امام الشَرَف المحاذي للبحر عند نهر الكلب سهلٌ متَّسع يفصل بينهما ثم غمرهُ الماء عند انخفاض البر في اواخر المدة التالية للعصر الجليدي فاضحى مكانهُ بحراً

واما مغارة انطلياس فأحدث عهداً من مغارة نهر الكلب على ما يظهر وعظام الحيوانات التي قد تحجرت رواسبها عليها تدلُّ على ان حيواناتها حديثة العهد وليست كحيوانات مغارة

نهر الكلب . وقد وجدتُ فيها اسنةً وسكاكين من الصوّان وعظاماً رميت عليها الرواسب وتحجّرت كما ترون (ثم اراها اياها واطلب بمهارة الذين صنعوها) وفي هذه البلاد كهوف كثيرة تحتوي عظاماً وظراناً بين رواسبها ولكنها لم تُعرَف حتى الآن لقلة من يبحث عنها . وهذه الرواسب حديثة بالنسبة الى ما يوجد تحتها من آثار القدماء ولكنها لا تزال اقدم من زمان الفينيقيين . والظاهر ان الناس كانوا يسكنون الكهوف في هذه البلاد قبل ان خسفت الارض خسوفها الثاني بعد العصر الجليدي فبادروا حين خُسفت بهم وطغى الماء عليهم ومنهم البقايا التي في مغارة نهر الكلب . ثم سكنها الذين يختلفون عنهم شعباً بعد ارتفاع البر من تحت الماء . وهذه الكهوف نوعان كهوف حفرتها السواقي ومجاري الماء في بطون الجبال ثم انفتحت لما تنافذ دونها فتركتها وتحولت الى تلك المنافذ . وكهوف نقرتها امواج البحر في الصخور ثم ارتفعت لما خسفت الارض بها بعد العصر الجليدي . والمرجّح ان مغارة نهر الكلب هي من هذا النوع الثاني . وتكثر الكهوف في جبل لبنان لسهولة نقرها فان هذا الجبل مؤلّف من صخور كلسية تكوّنت في اواخر الزمان الذي تكوّن فيه القسم الثالث من طبقات الارض (اواخر الدور الثاني) .

واما سبب سكن الناس فيها فيتضح من النظر الى كهف صغير قرب نهر الكلب امامهُ ارضٌ يسهل على الانسان ان يصل منها الى البحر وفوقهُ ارضٌ تناسب غرس الاشجار وهو في بقعة منفردة بحيث يأمن ساكنهُ اغتيال العدو ومفاجأة الضواري ويبيت مطمئن البال طيب الخاطر فلهذه الاسباب كان الناس يأوون قديمًا الى الكهوف »

الى ان قال :

« الاّ ان الادوات الحجرية التي وجدت في اوربا مثلاً لا يقطع منها بكون صانعيها اقل تمدُّنًا من الذين استعملوا الحديد بعدهم . ولا يصح ان يساووا بتوحشي هذه الايام ولو تساوت مصنوعات الفريقين لان متوحشي هذه الايام منحطون في الحضارة مع سهولة ارتقائهم فيها لو اقتدوا بالمتمدنين واما القدماء فلم يكن في زمانهم من يقتدون بهِ في الانسان فلا غرابة ان لم يتقدّموا الاّ رويداً . ويستدلُّ البعض من النقوش التي بقيت بعدهم انهم كانوا سليلة قوم متمدنين ثم انحطوا في التمدن حتى بلغوا حالة الخشونة التي وجدت آثارهم عليها . والله اعلم »

الرحالة ستيفنسن

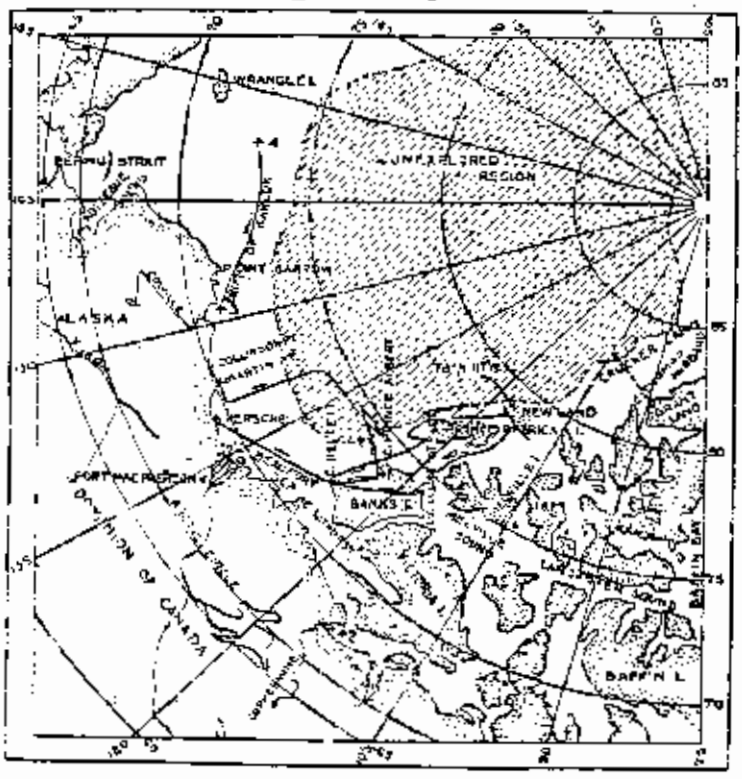

مقتطف يناير ١٩٠٦

امام الصفحة ٤٩